

السؤال

قرأت في السؤال رقم 12811 أن الكفر الأكبر المخرج من الملة أنواع فأمل منكم توضيحها وضرب الأمثلة عليها.

الإجابة المفصلة

الحمد لله

وبعد : فالكلام على حقيقة الكفر وأنواعه يطول لكن سنجمل الكلام عليه من خلال النقاط التالية :

أولاً : أهمية معرفته ومعرفة أنواعه :

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان لا يصح ولا يقبل إلا بأمرين - هما معنى شهادة أن لا إله إلا الله - وهما الاستسلام لله بالتوحيد ، والبراءة من الكفر والشرك بجميع أنواعه.

ولا يمكن للشخص أن يتبرأ من شيء ويحذره إلا بعد أن يعرفه ويتبينه ، فعلم بهذا ضرورة تعلم التوحيد للعمل به وتحقيقه ، ومعرفة الكفر والشرك للحذر منه ومجانبته .

ثانياً : تعريف الكفر

الكفر في اللغة : ستر الشيء وتغطيته

وأما في الاصطلاح الشرعي فهو " عدم الإيمان بالله ورسوله ، سواءً كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عن الإيمان حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة فالكفر صفة لكل من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به ، بعد أن بلغه ذلك سواء جحد بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معاً ، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان " انظر [مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 12/335] و [الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم : 1 / 45] .

وقال ابن حزم في كتابه الفصل : " بل الجحد لشيء مما صح البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفرٌ ، والنطق بشيء من كل ما قام البرهان أن النطق به كفرٌ كفر ، والعمل بشيء مما قام البرهان بأنه كفرٌ كفر " .

ثالثا : أنواع الكفر الأكبر المخرج من الملة :

قسم العلماء الكفر إلى عدة أقسام تندرج تحتها كثير من صور الشرك وأنواعه وهي :

1) كفر الجحود والتكذيب : وهذا الكفر تارة يكون تكذيباً بالقلب - وهذا الكفر قليل في الكفار كما يقول ابن القيم رحمه الله - وتارة يكون تكذيباً باللسان أو الجوارح وذلك بكتمان الحق وعدم الانقياد له ظاهرا مع العلم به ومعرفته باطنا ، ككفر اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى عنهم : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) البقرة/89 وقال أيضا : (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (البقرة : 146) وذلك أن التكذيب لا يتحقق إلا ممن علم الحق فرده ولهذا نفى الله أن يكون تكذيب الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم على الحقيقة والباطن وإنما باللسان فقط ؛ فقال تعالى : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) الأنعام/33 وقال عن فرعون وقومه : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) النمل/14

ويلحق بهذا الكفر كفر الاستحلال فمن استحل ما علم من الشرع حرمة فقد كذب

الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، وكذلك من حرم ما علم من الشرع حله .

2) كفر الإعراض والاستكبار : ككفر إبليس إذ يقول الله تعالى فيه : (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) البقرة/34

وكما قال تعالى : (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) النور/47 فنفي الإيمان عمّن تولى عن العمل ، وإن كان أتى بالقول . فتبين أن كفر الإعراض هو : ترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به سواء كان قولاً أو عملاً أو اعتقاداً . يقول تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ) الأحقاف/3 فمن أعرض عما جاء به الرسول بالقول كمن قال لا أتبعه ، أو بالفعل كمن أعرض وهرب من سماع الحق الذي جاء به أو وضع أصبعيه في أذنيه حتى لا يسمع ، أو سمعه لكنه أعرض بقلبه عن الإيمان به ، وبجوارحه عن العمل فقد كفر إعراضاً .

3) كفر النفاق : وهو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله ، مع الانقياد ظاهراً رثاء الناس ككفر ابن سلول وسائر المنافقين الذين قال الله تعالى عنهم : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ .. الخ الآيات) البقرة/8-20

4) كفر الشك والريبة : وهو التردد في اتباع الحق أو التردد في كونه حقاً ، لأن المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول حق لا مرية فيه ، فمن جؤز أن يكون ما جاء به ليس حقاً فقد كفر؛ كفر الشك أو الظن كما قال تعالى : (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا . لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) الكهف/35-38

فنخلص من هذا أن الكفر - وهو ضد الإيمان - قد يكون تكذيباً بالقلب ، فهو مناقض لقول القلب أي تصديقه ، وقد يكون الكفر عملاً قلبياً كبغض الله تعالى أو آياته ، أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يناقض الحب الإيماني الذي هو أكد أعمال القلوب وأهمها . كما أن الكفر يكون قولاً ظاهراً كسب الله تعالى ، وتارة يكون عملاً ظاهراً كالسجود للصنم ، والذبح لغير الله ، فكما أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح فكذلك الكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح . نسأل الله أن يعيذنا من الكفر وشعبه ، وأن يزيننا بزينة الإيمان ويجعلنا هداة مهتدين ... آمين . والله تعالى أعلم .

ينظر (أعلام السنة المنشورة 177) و (نواقض الإيمان القولية والعملية للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف 36 - 46) و (ضوابط التكفير للشيخ عبد الله القرني 183 - 196) .